الصاعقة الثامنة والستون: أجابَ دمعي وما الدّاعي سوى طلل(*)

أجابَ دَمعي وما الدّاعي سوى طلل ... دعا فلبّاهُ قبلَ الرَّكبِ والإبلِ

ظللْتُ بين أُصيحابي أكفكفُهُ ... وظلّ يسفحُ بين العذرِ والعذلِ

أشكو النوَى ولهمْ من عبرتي عجبٌ ... كذاكَ كنتُ وما أشكو سوى الكللِ(١)

وما صبابةُ مشتاقٍ على أملٍ ... منَ اللقاءِ كمشتاقٍ بلا أملِ

متى تزرْ قومَ منْ تهوى زيارتَهَا ... لا يتحفوكَ بغيرِ البيضِ والأسَلِ

والهجرُ أقْتَلُ لي مما أراقبُهُ ... أنا الغريقُ فما خوْفي من البَللِ

ما بالُ كلّ فؤادٍ في عشيرتها ... به الذي بي ومَا بي غيرُ مُنتَقِلِ

مطاعةُ اللحظِ في الألحاظِ مالكةٌ ... لمقلتَيْها عظيمُ الملكِ في المقلِ

تشبَّهُ الخفراتُ الآنساتُ بها ... في مَشيِهَا فينلنَ الحسْنَ بالحيلِ

قد ذقتُ شدةَ أيامي ولذَّتَها ... فما حصلتُ على صابٍ ولا عسلِ(٢)

وقد أراني الشبابُ الروحَ في بدني ... وقد أراني المشيبُ الرَّوح في بدَلي

وقدْ طرقتُ فتاةَ الحيّ مرتديًا ... بصاحبٍ غير عزهاةٍ ولا غزلِ(٣)

فباتَ بينَ تراقينا ندفّعُهُ ... وليس يعلمُ بالشكوى ولا القُبَلِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة لما رضي عنه.

(١) الكلل: ستر رقيق يعرف بالناموسية.

(٢) الصاب: شجرٌ مرّ.

(٣) العزهاة: الذي لا يرغب في النساء.

ثم اغتدى وبهِ منْ درعِها أثَرٌ ... على ذؤابتِه والجَفْنِ والخللِ

لا أكسبُ الذكرَ إلا منْ مضاربِه ... أو منْ سنانٍ أصمِّ الكعبِ معتدلِ[1]

جادَ الأميرُ به لي في مواهبِهِ ... فزانَها وكساني الدِّرعَ في الحُللِ

ومنْ علي بن عبدالله معرفتي ... بحملِه، مَنْ كعبدِ الله أو كعلي

معطي الكواعبِ والجردِ السلاهبِ والـ ... ـبيضِ القواضبِ والعسّالةِ الذبلِ

ضاقَ الزمانُ ووجهُ الأرض عنْ ملكٍ ... ملءِ الزمانِ وملءِ السهلِ والجبلِ

فنحنُ في جذلٍ والرومُ في وجلٍ ... والبرّ في شغلٍ والبحرُ في خجلِ[2]

من تغلبَ الغالبينَ الناسَ منصبُهُ ... ومن عديٍّ أعادي الجبنِ والبخلِ

والمدحُ لابن أبي الهيجاءِ تنجدهُ ... بالجاهليةِ عينُ العيِّ والخطلِ

ليتَ المدائحَ تستوفي مناقبَهُ ... فما كليبٌ وأهلُ الأعصرِ الأولِ

خذْ ما تراهُ ودعْ شيئًا سمعتَ به ... في طلعةِ البدرِ ما يغنيكَ عنْ زحلِ

وقد وجدتَ مكانَ القولِ ذا سعةٍ ... فإنْ وجدْتَ لسانًا قائلًا فقلِ

إن الهمامَ الذي فخرُ الأنامِ به ... خيرُ السيوفِ بكفيَ خيرةِ الدولِ

تمسي الأمانيُّ صرعى دونَ مبلغه ... فما يقولُ لشيءٍ ليتَ ذلك لي

انظرْ إذا اجتمعَ السيفانِ في رهجٍ ... إلى اختلافِهما في الخلقِ والعملِ[3]

---

(١) الأصم: الصلب. الكعب: العقدة بين الأنبوبين.

(٢) البحر في خجل: أي: إنه أجود من البحر.

(٣) الرهج: الغبار.

هذا المعـدُّ لريبِ الدهرِ منصلتًـا ... أعـدّ هذا لرأسِ الفـارسِ البطلِ

فـالعـربُ منه مع الكدريِّ طائرةٌ ... والرومُ طائرةٌ منه مع الحـجلِ

ومـا الفـرارُ إلى الأجبـالِ من أسـدٍ ... تمشي النَّعـامُ به في مـعـقلِ الوعلِ

جـازَ الدروبَ إلى مـا خلفَ خـرشنةٍ ... وزَالَ عنهـا وذاكَ الروعُ لم يزُلِ[1]

فكلمـا حلمتْ عـذراءُ عندهُمْ ... فـإنما حَلَمَتْ بالسَّبي والجَمَلِ

إن كنتَ ترضى بأنْ يعطوا الجزى بذلوا ... منهـا رضـاكَ ومنْ للعـورِ بالحـوَلِ

ناديتُ مجدَكَ في شعري وقد صدَرا ... يا غـيـرَ منتحلٍ في غـيـر منتَحلِ

بالشـرقِ والغـربِ أقـوامٌ نحبُّـهُمُ ... فطالعـاهُمْ وكـونَا أبلغَ الرّسُلِ

وعـرّفـاهُمْ بأنّي في مكارمِـه ... أقلّبُ الطرفَ بين الخـيلِ والخـولِ

يا أيُّهـا المحسنُ المشكورُ من جـهـتي ... والشكرُ من قبلِ الإحسانِ لا قبلي

مـا كـانَ نومي إلا فـوقَ مـعـرفـتي ... بـأنَّ رأيَـكَ لا يـؤتـى مـنَ الـزَّلَـلِ

أقلْ أنِلْ أقطعِ احـملْ علّ سلّ أعـدْ ... زد هشِّ بشِّ تفـضّلْ أدنِ سُـرَّ صلِ

لعلّ عـتْـبَكَ مـحـمـودٌ عـواقـبُـهُ ... فـربما صـحّتِ الأجـسـامُ بالعللِ

ومـا سـمـعتُ ولا غـيـري بمقـتـدرٍ ... أذبَّ منك لزورِ القـولِ عنْ رَجُلِ

لأنَّ حـلمَكَ حـلمٌ لا تـكـلّفُـهُ ... ليس التكحّلُ في العينينِ كـالكَحَلِ

ومـا ثـنـاكَ كـلامُ الناسِ عَنْ كَـرَمٍ ... ومنْ يسـدّ طريقَ العـارضِ الهطِلِ

---

(١) الخرشنة: بلد.

أنتَ الجـــوادُ بـلا منٍّ ولا كَـــدَرٍ ولا مطالٍ ولا وعـــدٍ ولا مَـــذلِ[١]

أنتَ الـشـجـاعُ إذا مـا لم يطأ فَـرَسٌ غـيـرَ السّنورّ والأشـلاءِ والقُلَلِ[٢]

(١) المذل: الضجر.

(٢) السنورّ: لباس من جلد كالورع.

obeikandl.com